مي وجبران

أحبّت مي زيادة التجديد في الصورة والنغم والخيال، وقد لمست هذه العناصر الثلاثة في كتابات جبران خليل جبران، فشغفت بها، وبدأت المراسلة بينهما في سنة ١٩١٢ وكانت أول ما تسلّمت من مؤلفاته كتاب «الأجنحة المتكسرة»، وقد شكرت له هديته، وناقشته في الزواج الذي نظر إليه جبران سلاسل ثقيلة حبكتها الأجيال، مناقشة لم تخل من الحدّة والثورة لكرامة بنات جنسها.

هناك مَن يزعم، ان عاطفة حب ثارت في قلبي مي وجبران، والحقيقة ان ميّاً أحبّت أدب جبران وفنّه، ولم تحب شخصه كما يحب الحبيب رجلاً يريده رفيقاً لحياته. وفي رسالة مؤرّخة في ٦ كانون الأول ١٩٢٠ قالت مي لجبران: «لما كنت أجلس للكتابة كنت أنسى من وأين أنت، فأكلمك كما أكلم نفسي، وأحياناً كأنك رفيقة لي في المدرسة... إنما كانت تطفو على تلك الحالة المعنوية عاطفة احترام خاص لا توجد عادة بين رجل وفتاة».

وتقول له في الرسالة نفسها: «وهل كان لديّ وسيلة أخرى لأحوّلك عن هذا الموضوع، وأذكّرك اني وحيدة أبويّ».

وتكتب له في موضع آخر من تلك الرسالة: «... ثم سطت عليك الكبرياء كبرياء الرجل، فنسيت ان السكوت لا يحسن بنا على هذه الصورة نحن اللذين تكاتبنا أبداً كصديقين مفكّرين... نسيت ان الموضوع الآخر جاء عرضاً، وما دام انه لم يكن الأصل، فقد كان له أن يتلاشى، دون أن يؤثر في علاقاتنا الأدبية الفكرية».

وعلى الرغم من رفض مي أن تتزوّج جبران سنة ١٩٢٠، فقد بقيت المراسلة بينهما مستمرة بضع سنوات ومن ذلك رسالة مؤرّخة في كانون الثاني سنة ١٩٢٥ تخبره فيها بانها قصّت شعرها الأسود المتموج الطويل...

يبقى انه ليس من شك في ان الرسائل التي بعث بها جبران من المهجر إلى سيّدة الأدب في المشرق العربي، من أجمل ما خطته أنامل الأدباء في سجل أدب الرسائل، سحر مي بلغته ولكنها رفضت أن تكون مجرّد رقم في حديقة نسائه...

د. جهاد نعمان